

سلسلة تحريف وانتحال

شريعة الفحش

براءة الإسلام

مما يدّعيه أصحاب الفكر الضالّ من
جواز البذاءة والفحش بتحريف معنى
قول الله تعالى: { لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ
بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ
اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا }

الإصدار

٣

سَنَد
S A N A D

Ar



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين

دين الجمال

ارتفع صوت ناشز في هذا العصر يذعي أنّ البذاءة والفحش والسبّ عليها أدلة من القرآن والسنة!

من المعلوم ضرورة أنّ الإسلام دعا المؤمنين إلى القول الحسن والفعل الجميل ، وحثّهم على الإحسان وحسن الأخلاق وعلى اجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

لكن ربّ سائل يسأل : ألم يُبَحِّح الإسلام للمظلوم أن يجهر بالسوء على من ظلمه كما في قول الله تعالى : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾^١ .

فقد ارتفع صوت ناشز في هذا العصر يذعي أمرًا عجبًا ، وهو أنّ البذاءة والفحش والسبّ عليها أدلة من القرآن والسنة!

ولكن هل يُعقل أن يكون من هدي الله تعالى ورسوله ﷺ البذاءة والفحش ، حاشاه من ذلك ، في ردّ المظلوم على الظالم؟



انقطاع السند ❖❖❖ انحراف الفهم

ختم الله رسالاته ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وحفظ الدين من بعده بعلماء الأمة الذين تلقوه بالسند المتصل ، فتلسلل الفهم السليم لهذا الدين بهذا السند ، ولا ينحرف عن هذا الفهم السليم إلا مَنْ اقتحم أسوار هذا الدين من غير هذا السند .

فماذا فهم أصحاب الأفكار المنحرفة من الآية فيمن ناله ظلم من أي إنسان؟

- أن له الحق في أن يسبه ويشتمه ويرميه بالألفاظ القبيحة السيئة .
- أن الشتم والسب أصل في مقابلة الإساءة .
- لكنّ توهم هذا الحقّ أدّى بهم إلى الاسترسال في هذا النهج اللاأخلاقي .

انقطاع السند ❖❖❖ انحراف الفهم ❖❖❖ فكر سقيم

ثمّ إنهم نسبوا لله جلّ في علاه الفحش من القول ونسبوا لرسوله الكريم ﷺ تشريعه له ؛ وذلك استجابة لنوازع نفسية مضطربة أبت إلا أن تبتدع ملاذًا شرعيًا يعينها على إنفاذ سخطها ورعونتها بسوء الخلق وقبيح القول ثمّ تدّعي أنّ ذلك جائز شرعًا ، بل ومطلوب العمل به!

الشبهة الأولى

الشاهد: قوله تعالى : ﴿عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾^٢

الفهم الخاطيء:

إطلاق وصف البذاءة والسوء مطلقًا باعتباره أصلًا وليس استثناءً .

الفهم الصحيح:

الوصف متعلّق بحالة بعينها لبيان حقيقة ما كانت مستورة عن الناس .
«العتل الزنيم»^٣ ، ومعناه الدعوى الملتصق بالقوم وليس منهم ، وهو الوليد بن المغيرة ، أو من يُعرَف بالشر^٤ .

٢ القلم : ١٣ .

٣ مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، تفسير سورة القلم (٦٠٧/٣٠) .

٤ جامع البيان ، الطبري ، تفسير سورة القلم (١٦٤/٢٣) ؛ تفسير ابن كثير (٢١٢/٨) ؛ تفسير ابن عطية (٣٤٧/٥) ؛ تفسير

القرطبي (٢٣١/١٨) .

الشبهة الثانية

الشاهد: قوله تعالى: ﴿.. وَلَكِنَّهُ أَحْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ..﴾ .
وقوله سبحانه: ﴿.. مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ..﴾ .^٥

الفهم الخاطيء:

إصاق صفة نقص معيبة هي «البذاءة» بالله جلّ في علاه وتعالى عما يقولون؛ ومنشأ هذه الآفة من غياب فهم قواعد اللغة العربية في التشبيه، والفرق بينه وبين النعت .

الفهم الصحيح:

لغة العرب هي الحاكمة لأنها منطوق تفكيرهم، وفي الأدب العربي قصة الشاعر الذي مدح أحد الخلفاء بقوله: أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب المقصود هنا هو الوصف من خلال ضرب المثل وليس السباب والشتيم .

ضرب الله لهؤلاء مثلاً بحال حمار يحمل أسفاراً لا حظّ له منها إلا الحمل دون علم ولا فهم^٦ .
إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طرده لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره ﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾^٧ (الأعراف - ١٩٣)^٨ .

المراد تقبيح هذه الحال وذمّها وتغيير الناس عنها، ودعوتهم إلى الكمال المتضمّن في اتباع الأحكام الشرعية وطاعة الله ورسوله^٩ .

آفة إصاق صفة البذاءة بالله جل في علاه منشأه غياب فهم قواعد اللغة العربية في التشبيه، والفرق بينه وبين النعت !

٥ الأعراف: ١٧٦ .

٦ الجمعة: ٥ .

٧ تفسير الطبري .

٨ تفسير البغوي .

٩ انظر: تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (٢١٣/٢٨)؛ تفسير زاد المسير، أبي الفرج الجوزي (٢٨١/٤)؛ تفسير

القرطبي (٩٤/١٨) .

الشبهة الثالثة

الشاهد: قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «امصص بظر اللات وقول حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه: «يا ابن مقطعة البظور» .

الفهم الخاطيء:

طالما صدرت مثل هذه الألفاظ عن أحد الصحابة الكرام فهي جائزة .

الفهم الصحيح:

وقائع الأحوال "المواقف" من غير المعصوم بخلاف ما قرره المعصوم لا يصلح أن يُحتجَّ به .

لا يصح إغفال سيرة رجل اصطبغت بحسن الأخلاق وجميل الخصال ثم الحكم عليه من تصرف فريد لم يتكرر وجعله أصلاً وأساساً يُبنى عليه .

فقول سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، إن صحت نسبته إليه ، حصل حين بالغ في زجر عروة بن مسعود حينما غضب من قوله للنبي صلى الله عليه وآله «وإني لأرى أوشاباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك» .

قول سيدنا حمزة رضي الله عنه كان في غزوة أُحد لسباع بن عبد العزى يذمه به حين التقيا ، وقد حمي وطيس المعركة وبلغ الغضب ذروته ، إذ كانت أمه ، أم أعمار ، حَتَانَةً بِمَكَّة .

وهنا يتضح الفرق بين صدور الألفاظ غير اللائقة في لحظة الغضب ومحاولة شرعنة الفحش وتأصيله ونشره على أنه من السنة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ
وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ
وَلَا الْبَذِيءِ"

الأصل في الهدى النبوي

بيّنت السنة المطهرة الأصل في خلق المسلم في تعامله مع المسيء ، من ذلك :

عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : السَّأَمُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : عَلَيْكُمْ ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ . قَالَ : «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفَحْشَ» ، قَالَتْ : أَوْلَمْ تَسْمَعِ مَا قَالُوا؟ قَالَ : «أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ، فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِي»^{١١} .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَدِيءِ»^{١١} .

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ، قَالَ : كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَأَبِي سَمُرَةَ جَالِسٌ أَمَامِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ الْفُحْشَ وَالْفَحْشُ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا»^{١٢} .

اتصال السند ❖ الفهم السليم

فهم علماء الأمة الآية الكريمة الفهم السليم فبيّنوا معناها بيانًا شافيًا ، وهذه طائفة من أقوال الصحابة والتابعين والمفسرين فيها :

حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (١٧هـ):

قال : لا يحبُّ الله أن يدعو أحدٌ على أحدٍ إلا أن يكون مظلومًا ، فإنه قد أرحص له أن يدعو على من ظلمه ، وذلك قوله : ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ، وإن صبر فهو خير له^{١٣} .

الإمام الحسن البصري (١٠٠هـ):

قال : هو الرجلُ يظلم الرجلَ فلا يدعُ عليه ، وليقل : اللهم أعني عليه واستخرج حقي منه ، وفي رواية عنه قال : قد أرحص له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يعتدي عليه^{١٤} .



١٠ البخاري ، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا ، حديث ٦٠٣٠ .

١١ الترمذي ، باب ما جاء في اللعنة ، حديث : ١٩٧٧ .

١٢ رواه أحمد ، مسند البصريين ، حديث جابر بن عبد الله : ٢٠٨٣١ .

١٣ تفسير ابن كثير ، ٤٤٢/٢ .

١٤ المرجع السابق .

الإمام مجاهد بن جبر (١٠٤هـ):

قال: هو الرجلُ يستضيفُ الرجلَ فلا يُضيفُهُ ، فقد أذن له أن يذكرَ منه ما صنع به ، أي : لم يُقرني ولم يُضيفني^{١٥} .

اتصال السند ◀◀◀ الفهم السليم ◀◀◀ سلسلة الإسناد ▶▶▶

اتفق علماء الأمة على هذا الفهم السليم وعلى أن العفو أولى ، بعيداً كل البعد عن بذاءة اللسان وفحش القول ؛ ونجد ذلك في سائر كتب التفسير ، منها على سبيل المثال :

علماء فسروا الآية بالفهم السليم والسند المستقيم

تفسير ابن جرير الطبري ٣١٠هـ	تفسير مقاتل بن سليمان ١٥٠هـ
معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١١هـ	تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ
تفسير الثعلبي ٤٢٧هـ	تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٧هـ
تفسير البغوي ٥١٠هـ	تفسير أبو مظفر السمعاني ٤٨٩هـ
تفسير البحر المحيط ٧٤٥هـ	تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ٥٤٢هـ
تفسير الرازي ٦٠٦هـ	تفسير زاد المسير لأبي الفرج الجوزي ٥٩٧هـ
تفسير النسفي ٧١٠هـ	تفسير العز بن عبد السلام ٦٦٠هـ
تفسير القرطبي ٦٧١هـ	تفسير الخازن ٧٤١هـ
تفسير أبو السعود ٩٨٢هـ	تفسير الجلالين ٨٦٤هـ
تفسير المراغي ١٣٧١هـ	تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن ١٣٠٧هـ



انقطاع السند ❖❖❖ انحراف الفهم ❖❖❖ فكر سقيم ❖❖❖ كارثة

يبدأ الانحراف صغيرًا ليمتد ويتسع إن لم يُتدارك بالعودة إلى فهم علماء الأمة من أصحاب السند المتصل ، وبتوسع الانحراف في الفهم تنتج مغالطات وطامات تسيء للدين وأهله .

ما أبرز آثار التعدي على الشريعة بإشاعة الفهم المغلوط؟

- تفشي الألفاظ البذيئة بحجة أنها أصل في الدين .
- اهتزاز الثقة بالمنظومة الأخلاقية الإسلامية السامية في نفوس الناس .
- وصفُ الإسلام من قبل أعدائه ، وحتى من بعض الذين ينتمون إليه ، بأنه دين يشرع للأخلاق السيئة والألفاظ البذيئة .
- توهّم كثير من شباب المسلمين أنّ سبّ الظالم وشتمه ورميه بالألفاظ النابية القبيحة لا بأس به من الناحية الشرعية وأنه مطلوب!

وقال الحسن البصري

لا يدعُ عليه، وليقل

(اللهم أعني عليه واستخرج حقي منه)



الخلاصة

- الإسلام يأمر بالقول الحسن ويرغب فيه في كل حالات الإنسان مع بني الإنسان .
- الأصل الأصيل في الدين الحنيف النهي عن فحش اللسان وقول السوء .
- من الخطورة بمكان ما يدعيه بعض المنتمين للتنظيمات المتطرفة من أن رمي الظالم بالألفاظ البذيئة الفاحشة أمر منصوص عليه في الشريعة ؛ ومن الجناية العظيمة السعي لشرعنة بذاءة اللسان المتورط فيها كثير منهم .
- لا بدّ من الرجوع إلى أئمة الدين المعترين في فهم النصوص الشرعية كي لا يقع المسلم فريسة في براثن ضلالات المتحللين من أصحاب الأغراض والهوى والرؤى القاصرة .
- من الأهمية القصوى حماية أجيال المسلمين من عبث الساعين إلى تشويه الدين وازدراؤه بمحاولة شرعنة الفحش والبذاءة في مواجهة الظلمة ، حتى لا تضطرب الشخصية المسلمة بين تراث يحث على حسن الأخلاق وأدعياء تدين يمارسون سيئها .
- لا دلالة من الآية الكريمة : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ على أي فحش أو بذاءة في الرد على الظالم ، أو حط من قدره برميهِ بالألفاظ النابية البذيئة التي نهى عنها ديننا الحنيف في الأصل كما مر .

«وهل يكبُّ الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم»

حديث شريف^{١٦}



سلسلة تحريف وانتحال

قال رسول الله صلى عليه وآله وسلم (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)¹

فهم بعض أصحاب الأفكار الخاطئة كلام الله سبحانه وتعالى وكلام نبيه ﷺ بصورة لا تتسق مع المنهج العلمي الموروث عن السلف الصالح ، ولا تتناغم مع المقاصد والقيم الكبرى للوحي الإلهي .

وقصدوا بعض آيات القرآن الكريم التي نزلت في غير المسلمين فأنزلوها بالمسلمين وتناولوا آيات وردت على سبيل الاستثناء فجعلوا منها أحكاماً عامة وحرفوا معاني كلام الله وأحاديث نبيه الكريم بصورة أدت إلى رسوخ أو (تكوّن) مفاهيم في عقول عامة المسلمين خاطئة فادحة ، نتج عنها سلوكيات وأفعال لا صلة لها بدين الإسلام الحنيف .

نتعرّف ضمن هذه السلسلة على ما وقع فيه أصحاب هذه الأفكار الخاطئة من تحريف لمعاني كلام الله وكلام رسوله ، وضلال في بعض الأحكام الشرعية ، وتبنّ مفاهيم مغلوطة ، بما جعلهم منفصلين عن مراد الله ورسوله وفهم السلف الصالح .

1 - حديث مشهور صححه ابن عبد البر ، وروي عن أحمد بن حنبل ؛ أنه قال : هو حديث صحيح .